﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

عن الصِّدِّيق أبي بكر، عن نبيِّ الله محمّد ﷺ قال:

إِنّ النّاسَ إذا رأوُا المنْكر فَلَمْ يُغيِّرُوه
أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ

فكيفَ نرجو رحمَةَ اللّه
وفينا مَن يَسبُّه!؟

الحمد لله رب العالمين

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾

وإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

إن من شديد البلاء، وعظيم الفتنة، ومنكرات الأمور، ما نسمعه من الكُفْران والسِّباب والشتيمة، لله ربّنا المجيد، تقدّس اسمُه وتبارك ملكُه؛ ممّا تقْشَعِر منه جلودُ الذين آمنوا، وتشمئزّ قلوبُهم، وتَقذُره نفوسُ المسلمين، فتبارك وتقدّس اسمُه العليُّ العظيم، إلهُ السموات والأرض، ربّنا وربّ آبائنا الأولين؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

وقد بلَغنا بالصدق عن رسول الله محمّد ﷺ قوله: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». وقوله ﷺ لصاحبه معاذ وهو يعظه وقد أخَذَ بلسانه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فقال معاذ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ؛ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»؟.
ثم سئل ﷺ –بآبائنا وأمهاتنا هو– عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ».

فالدين النصيحة، وإن الله أنزل القرآن، وأرسل الرسل تذكرةً وبلاغًا، فلا بدّ لكل عبد مؤمن أن يعرف الله -تبارك اسمه وتقدّس عرشه المجيد- حقَّ المعرفة، حتى يَعبُدَه حقَّ عبادتِه، ويتّقيَه حقَّ تقاتِه، فلا يتقيه إلاّ مؤمن، ولا يخشاه إلاّ من هو به عالم.

فاعلموا -يرحمكم الله- أنه -تبارك اسمُه وتقدّست كلماتُه- من العلوّ والكبرياء، والسلطان والملكوت، والعزّة والجبروت، والقوّة والعظمة، والحَوْل والطَوْل، والمجد والجلال، وما لا يُحصيه غيره من المحامد والثناء، ما لو علم الناس حظَّهم منه، لما اجترأ على حدِّه أحدٌ، ولا تطاول على حَرَمِه أحدٌ، ولخشعت له الأفئدةُ والقلوب ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.
وأنّه يصبر على السيئة ويحلم، ثم يصبر ويحلم، فإذا غضب لم يمنعه شيء؛ تعالى جدُّ ربّنا العظيم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

فكيف يَسبُّه من يَسبُّه -تقدّس اسمُه المجيد- ثم يعود فيأكلُ من رزقه ويسكنُ أرضه ويستترُ بستره؟.
فلا وربِّكم، لا يقع في هذه الفاحشة الكبيرة، إلا من حُرِم حياءَ الإيمان ولجامَ التقوى، وغَلب شرُّه خيرَه واستهوته الشياطين.
ألا يعلم الذين يجترحون الكبيرة الموبقة تلك، مقالةَ نبي الله محمدٍ ﷺ :«إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». فكيف لعمرو الله بعدها بمن لعن من خلق الولد والوالد، والإنس والجن والملائكة والعرش العظيم؟، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ألم نسمع مقالةَ نبيِّنا الأمين ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ»؟؛ فكيف لعمرو الله بمن يسبُّ إله المسلمين، وإله النبيين والمرسلين؟. فتالله الذي أنطق كل شيء، لأن يَعضّ أحدُنا على جمرة حتى يُطفئها لسانُه، أهون له من أن يؤذيَ ربّه بشطر كلمة أو حرف منها، المجد والقُدُس لاسم ربّنا العظيم.

حكم من سبّ اللّه، أو رسولَه، أو شيئاً من الدين

ثم، لِيذكر الذين غرّهم واستزلهم شيطانُهم، أيَّ سَعَةٍ كانوا فيها بنعمة الإيمان والإسلام، فضيّقوا على أنفسهم، وحرموها ما كان لهم حلالاً طيّبًا!. فمن قال كلمة الكفر فقد حبط أجرُه، ووجب وِزرُه، وأخرج نفسه من مِلّة المسلمين، فلا يَحلّ بعدها نكاحه، ولا يرثهم ولا يرثونه، ولا تؤكل ذبيحته، وإذا مات لا يُصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، إلا أن يتوب من كبيرته؛ فمن تاب، تاب الله عليه!. ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.
وما أيسر ما يُصيب المعتدي المسيء في الدنيا، بجانب ما حقَّ عليه من غضب الله ولعنته ولعنة الملأ الأعلى!، فنسأل الله العفو والعافية لجميع المسلمين.

ثم أين يذهب من جرَت اللّعنة على لسانه، بهذا الوحي على لسان نبيّنا الأمين ﷺ:
«مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ». فكيف بمن لعن من نخشى ذكرَ اسمه لمثلها، تقدّس وتبارك وتعالى!؟.

ومن جاء يُهوِّن من شأن هذه الفاحشة الُموبقَة، بدعوى ما يُصيب الناسَ من الغضب والإغلاق؛ فكأنما يُجرّئهم على ربّهم، ويهوّنه في أعينهم، فلا يُتابَع ولا يُصدّق، فلا نعلم أحدًا من أمناء هذه الأمة بعد نبيها وأصحابه، ممّن أنعم الله عليهم بنعمة العلم والخشية، يُهوِّن هَوْنهم ﴿فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾!.
وليذكروا الوحي على نبينا المعصوم ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى».

فمن فَجَر بها لسانُه –ولو مرّة واحدة–، فعليه إثمها وحكمُها، حتى يرجع ويستغفر ويتوب. ومن كرّرها وجرى بها لسانه عادةً غيرَ عابئ ولا مسترجع، فقد أهلك نفسه وأحلّها دارَ البوار. فمن كان لا يعلم، فهذا له عِلم، ومن عِلم فعليه ما عِلم.

رسالة لأهل الصُلْح والقضاء، وللأئمة والعامّة

أن يُراعوا الله في أنفسهم وفيما وَلُوا، وأن ينأوْا عنها، وينهَوْا عنها!؛ وندعو كل من استرعاه الله أمانة الإصلاح بين المسلمين من الوجهاء وأهل القضاء، أن يتشدّدوا على من اعتدى ووقع في مثلها، أو سبَّ نبيَّ الله ﷺ، أو دين المسلمين، أو شعيرة من شعائر الله، وأن يُغلِظوا فيها، ويُثقِلوا غُرمها، وأن يسنّوا بها سُنّة حسنة، فيبدأوا بحقّ الله قبل حقوق الناس، وحقوق آبائهم، وذلك أقلّ الحقّ والواجب، فمن الناس من يغضب لآبائه وشيوخه، ولا يغضب لله جلّ شأنه العظيم، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

بل إن كثيرًا من الناس إذا رأى مؤمنًا ينهى فاجرًا يؤذي الله ورسولَه، ترك الفاجرَ ونهى المؤمنَ، ونصر الشيطانَ على ربه!، بدعوى أنّك لست ربَّه لتحاسبه!!.

وفي مثل هؤلاء قال الأمين محمد ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

وليستحي الذين يسمعون السِّبابَ على ربّهم، ثمّ لا يغضبون ولا يعتبون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ فكيف يدافع الله عنّا، ولا نُدافع عن اسمه وجلاله؟، وتِلْكُم خيانةٌ لله وللرسول!.

ثم نُذّكر بكريهة سيئة، يستخفها كثير من الناس، ممّا يجري على ألسنتهم من الفكاهة و"النكت" التي تمسّ اسم الله –جلّ وعلا– أو أحدًا من أنبيائه أو ملائكته المُكرَمين، وهم يظنون أن لا إثم عليهم ما دام مزاحًا أو هزلاً، وفي مثلها نزل قوله المجيد..

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾، فاعلموا أن هزلَ الكفر وجدَّه سواء!.

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾.

وننبّه ختامًا إلى واجبةٍ أخرى، ذلك ما يشيع على لسان الناس من قولهم "سبّ الذات الإلهية"، فهذه التسمية –"الذّات الإلهية" بهذا التأليف– تَسْمِيَةٌ مبتدعة ليست في كتاب الله ولا في سُنّة رسوله ﷺ؛ بل هي من لحون غير المسلمين، فالأسلم تركُها!. ولا يُسمّى الله إلا بما سمّى به نفسَه، أو سمّاه به رسوله ﷺ، فلينظر كلٌّ ما يقول على الله وما يقول فيه!.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

ثم نَنْصح أنفسَنا وننصح المسلمين، بما نصح لنا به خاتم النّبيين ﷺ قَال:

«لَا تَغْضَبْ»!.

فسدّدوا وقاربوا وأبشروا، وأروا الله من أنفسكم خيرًا.

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

رسائل «أهل القرآن»
من دروس الدّاعية، صلاح الدّين أبو عرفَة
www.ahlulquran.net